انعكاسات الحرمان العاطفي الأمومي على شخصية الطفل

د. طاوس هاشيم
جامعة تيزي وزو، الجزائر

استلم بتاريخ: 17-11-2016 تمت مراجعته بتاريخ: 14-03-2017 قبل للنشر بتاريخ: 15-05-2017

الملخص:

يهدف هذا البحث المكتبي إلى إبراز أهمية وجود الأم في حياة الطفل ومدى انعكاس واثر الحرمان العاطفي على شخصية الطفل في المجال النفسي، الانفعالي، الاجتماعي، المعرفي والسلوكي، بالإضافة إلى تحديد أهم العوامل المساهمة في الحرمان العاطفي الذي يترتب عنه معاناة الطفل من صراعات نفسية، احباطات، ضغوطات وقلق حاد نظرا للحاجة الماسة لوجود شخص بقربه يرعاه ويوفر احتياجاته في الطفولة. الحرمان العاطفي للطفل في السنوات المبكرة يحطم أسس النمو السليم عنده، نظرا لغياب الأم الكفيلة به، الشيء الذي يترك آثاره السلبية على طول مراحل حياته، علاقة الطفل بأمه في هذه الفترة لها الدور الأساسي في تشكيل شخصيته من خلال التفاعل القائم معها وإشباع حاجاته من عاطفة وامن، وعلى العكس الانفصال عنها أو الابتعاد عنها ينعكس سلبيا على صحته ما يكسبه شخصية مضطربة وغير سوية.

الكلمات المفتاحية: الحرمان العاطفي؛ الشخصية.

The Repercussions of Maternal Emotional Deprivation on Child's Personality

Taoues HACHIM
Tizi Ouzou University, Algeria

Abstract

This research aims at showing the importance of the mother's presence in the child's life and the reflections of maternal emotional deprivation on his personality at the psychological, emotional, social, cognitive and behavioral levels. In addition to identifying the most important factors contributing in the emotional deprivation, which leads to his suffering from: psychological conflicts, frustration and severe anxiety because of the critical need to the presence of someone to take care of him during childhood. Emotional deprivation of a child in the early years destroys the foundations of his healthy growth due to the absence of the mother to ensure it. This state leaves negative effects along the different stages of the child's development. Through a based interaction with the mother, the relationship of the child to her in this period has a basic role in the formation of his personality,. The child thanks to this relationship satisfies his needs of affection and security. But on the other hand, separation or breaking away from the mother has negative impacts on his health, what constitutes a pathologic and an abnormal personality..

Keywords: Emotional deprivation; Motherhood; Personality.

مقدمة:

يحتاج الطفل إلى الحب والعطف والحنان وإلى أن يحظى بالرعاية والحماية خاصة التي تمنحها له الأم، فعلاقة الطفل بأمه في فترة الطفولة لها دور مهم في تكوين شخصيته، فبفضل الأم يتعلم الطفل في بداية حياته الاستجابات الاجتماعية للآخرين من خلال التفاعل بينهما أي أن الطفل يستجيب استجابة اجتماعية لغير الأم كما يستجيب لأمه، وأي انفصال أو ابتعاد عنها قد يؤثر على شخصية الطفل وعلى سلوكاته وانفعالاته.

إشكالية الدراسة:

يمثل النسق الأسري أول وأهم الخبرات التي يمر بها الطفل في حياته، فهو المكان الملائم لرعايته، وله الدور الحاسم في تشكيل سلوكه وبناء شخصيته في مرحلة الطفولة المبكرة ومراحل نموه المختلفة باعتباره مصدر إشباع حاجاته الأولية والأساسية كالأمن، التقدير، الحب والانتماء وتقدير الذات، وتوفر له مواقف وخبرات تسمح له بالنمو والتعلم والنجاح.

تتشكل دعائم الصحة النفسية في مرحلة الطفولة، وأن أساس الاضطرابات النفسية تكمن فيها يحتاج النمو في هذه المرحلة رعاية خاصة وإمكانيات بيئية أكثر إثارة وغنى من أجل مساعدة الطفل على تجاوز هذه المرحلة بسلام.

نظرا لوجود العلاقات العاطفية داخل الأسرة من حب و رحمة وتعاون خاصة في السنوات الأولى من عمر الطفل، باعتبار هذه المرحلة المبكرة الركن الأساسي لتكوين الشخصية فهي تلعب دورا هاما في نموه الشخصي، ذلك لما لها من انعكاسات على مختلف جوانب النمو الجسمية، النفسية الانفعالية، المعرفية والاجتماعية...الخ، إذا حدث ما يعوق هذه العلاقة لأي سبب من الأسباب، فإن خللا ما كالخوف وفقدان الأمن وسوء التوافق قد يتسلل إلى شخصية الطفل ليكوِّن بذلك سببا لحالة اجتماعية أو نفسية غير سوية وغير متوازنة وشخصية قلقة مترددة.

إن وجود الوالدين في حياة الطفل أمر ضروري خاصة الأم التي تعتبر مصدر العطف و الغذاء خلال السنتين والثلاث سنوات الأولى من عمره ينمي الطفل سلسلة من العلاقات والروابط الانفعالية التي لها أهمية في نموه، تكون الأم المصدر الأول لهذه العلاقات كالحب والعطف والحنان والابتسام.

لكي ينمو الطفل في ظل شخصية سوية، عليه أن يشبع من حنان أمه ويكون هو غذاءه، وغياب هذا العامل الرئيسي في نمو الطفل غالبا ما يؤدي به إلى اضطرابات سلوكية كالعدوانية، نفسية كالقلق ووجدانية كالاكتئاب، قد يترك غياب الأم في حياة الطفل أثار سلبية بسبب الحرمان العاطفي منها مثل: البرود العاطفي، التأخر في الكلام وفي النمو العقلي، الانسحاب، اللامبالاة من جميع الروابط الانفعالية وشعور هؤلاء الأطفال المحرومين بأنهم مختلفون عن الآخرين وشعورهم بالنقص واتصاف سلوكهم بالعدوانية. (محمد، 1997، ص216)

يرى Bowlby أن علاقة الأم بالطفل هي العلاقة الأكثر أهمية خلال سنوات الطفل الأولى وأي حالة تمنع هذه العلاقة تسمى بالحرمان الامومي، وجود الأم يشبع كل حاجات الطفل بيولوجية

كانت أم نفسية عاطفية، وغيابها المؤقت أو الدائم يعني عدم وجودها، وبالتالي عدم إشباع الحاجات مما يدفع بالطفل إلى الإحساس بقلق حاد سببه انفصاله عن الأم، كما أوضحت A. freud في عرضها لمسارات النمو والمتعلقة بمراحل تطور العلاقة بالموضوع، أن الانفصال والحرمان من الأم في المرحلة الثانية (مرحلة العلاقة بموضوع الحاجة) يقود إلى الاكتئاب، كما يشير التحليل النفسي الخاص بالعلاقة بالموضوع إلى أن اضطراب العلاقة بالأم يؤدي إلى اهتزاز العلاقة بالواقع، الشيء الذي يؤدي بالطفل إلى الذهان الناتج من افتقاد الطفل للعلاقة الأولية المشبعة بالواقع مع الأم، وفقدان الطفل القدرة على حب الأم نظرا لصورتها غير المشبعة، مما يجعل الطفل ينشئ العلاقة مع الأشياء الجامدة، حيث يلغي الإنسان الذي يمثل له فقدان الحب فتؤدي هذه الحالة إلى موت الطفل لارتداد الدوافع العدوانية نحو ذاته، وهكذا يصل الحرمان الأمومي بالطفل إلى حد اضطراب شخصيته واضطراب تكوين الأنا الأعلى أو الضمير لديه، تضطرب هذه الصورة الذاتية للأم المكونة للذات الشعورية للطفل حالة الانفصال عنها فيؤدي إلى تكوين شخصية مضطربة. (قاسم، 2002، ص26)

تتكون الشخصية السليمة للطفل من خلال العلاقات الأولية مع الأم، باعتبار الشخصية تنظيم دينامي الذي يكمن داخل الفرد من الأجهزة النفسية والجسمية التي تحدد طابعه المتميز في السلوك والتفكير، هذا التنظيم الذي يكمّل للفرد توافقه (سعاتي، 1983، ص106) ، وقد اصطلح عليه S. freud بالجهاز النفسي الذي يتكون من " **الهو**" منبع الطاقة الحيوية والنفسية ويولد به الفرد، يضم الغرائز الإنسانية والدوافع الفطرية "الجنسية والعدوانية" و"**الأنا الاعلى**" الذي ينمو مع نمو الفرد حيث يعمل على ضبط غرائز " الهو" وكف دفاعاته، أما "**الأنا**" يعتبره فرويد مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي والداخلي يدافع عن الشخصية من خلال السعي على إحداث التوافق والتوازن النفسي بين مطالب "الهو" و"الأنا الأعلى". (Freud, s, 2003, p .162)

تتفاعل هذه المكونات الثلاثة بينها تفاعلا وثيقا بحيث يؤثر كل منها في سلوك الفرد، وتساهم في بناء شخصية الفرد. (سعاتي، 1983، ص106)

يؤدي غياب الأم عن الطفل وحرمانه منها إلى عدم الاتزان النفسي وظهور شخصية غير سوية، وهذا ما أكدته عدة دراسات منها: دراسة (Spitz, 1946) حيث توصل إلى أن تأثير الحرمان من الأم يشمل كافة جوانب شخصية الطفل، ويصل إلى أقصى درجة من الاضطراب الانفعالي حيث يصاب بالاكتئاب. (قاسم، 2002، ص125)، في حين أن بيومي (Byoumi, 1980) توصل إلى أن الأطفال الذين حرموا من أمهاتهم منذ سنوات عمرهم المبكرة تنقصهم القدرة على رعاية أطفالهم عندما يكبرون، وأن فترة الانفصال عن الأم تؤدي إلى ثورات مزاجية من عدوان وغضب وقلق وخوف وزيادة النشاط في الحركة لدى أطفال الطفولة المبكرة. (الهنيدي، 2008، ص4)

إضافة إلى ذلك غياب الأم عن الطفل وحرمانه من عطفها وحنانها عدة ساعات يوميا يحدث أثار ضارة على شخصيته حتى بعد زوال الظروف التي أحدثته، وأهم اثر هو اكتئاب الطفل واتصافه

بمظاهر تعبر عن القلق وعدم الاطمئنان، كما أنه لا يستطيع التحكم في دوافعه و ضبطها مما يدفعه إلى سلوك يتصف بالعدوان و كثرة النزوات الانفعالية.**(رشدان، 2005، ص124)**

بناء على ما سبق ذكره من دراسات حول الموضوع، يظهر أن النمو العادي لشخصية الطفل مرهون بوجود العلاقة الأولى مع الأم، فحرمان الطفل من هذه العلاقة وفقدانه لعاطفة أمه ينعكس سلبا على مختلف جوانب نموه، مما قد يؤثر على نموه النفسي و نمو شخصيته بصفة سليمة وعليه نطرح التساؤلات التالية:

– ما المقصود بالحرمان العاطفي الامومي؟ وما هي انعكاساته على شخصية الطفل ؟

التعريف بالمفاهيم الأساسية:

1– **العاطفة:** العاطفة نظام يتألف من ميول وجدانية مركزة حول شيء ما أو شخص، أو جماعة، أو فكرة مجردة، تكيف الشخص لاتخاذ اتجاه معين في شعوره وتأملاته وسلوكه الخارجي.

إنها استعداد وجداني مكتسب، وبهذا تتميز عن الميول الفطرية رغم أنها نبتت منها، إذ تتأثر بالعوامل الاجتماعية وتنمو وتقوى تحت تأثير التفكير والتأمل والتجارب الانفعالية المختلفة. (المليجي، 1985، ص 154)

2– الأمومة: تعود لعلاقة الأم بطفلها ككائن اجتماعي وفيزيولوجي وعاطفي، وتبدأ هذه العلاقة من لحظة تكوّن الطفل وتمتد إلى جميع مراحل التطوّر الفيزيولوجي اللاحقة، من الحمل إلى الولادة إلى الإرضاع إلى العناية الجسدية وتترافق كل هذه الوظائف بردود فعل عاطفية متماثلة فيما بينها لكنها تتنوّع إلى حد كبير بصورة فردية بالنسبة لكل أم مع مجمل شخصيتها في شدة ردود الفعل هذه. (مصعب، 2008، ص27)

3– الحرمان العاطفي: "هو غياب بعض العناصر الضرورية لنمو الحياة العاطفية لدى الفرد خاصة وشخصيته عامة، وتنعكس عواقب هذا الحرمان على الاتزان النفسي الذي يظهر بوضوح في السنوات الأولى من حياة الطفل". (هنا، 1983، ص3)

4– **الحرمان العاطفي الأمومي:** الحرمان الامومي هو نقص العناية والتفاعل الوجداني بين الطفل وأمه أو بديلتها، وتختلف آثاره حسب:

– سن التفريق أو الإحباط.

– مدة الحرمان.

– توفير أو عدم توفير وجه أو أوجه امومية مكافئة وثابتة.

– حسب نوع الحرمان حسي، حركي، أو وجداني.

الأم البيولوجية ليست ضرورية بل ما يهم هو إمكانية تكوين علاقات في ظروف مادية مثيرة للنشاط الفكري والحسي– حركي...(ميموني، 2003، ص168) نجده يعالج بلغة التحليل النفسي تحت مصطلح" فقدان الموضوع " على أساس أن العلاقة بالأم أو من تقوم مقامها يقابلها العلاقة بالموضوع

وبالتالي فالحرمان العاطفي الأمومي أو فقدان الموضوع قد يكون فقدان فعليا بالموت أو انقطاع علاقة وثيقة متبادلة مع الموضوع، وهذا الانقطاع ناجم عن ابتعاد الموضوع أو اختفاءه.

يعرّف (Statt, 1982) فقدان الموضوع بأنه "فقدان الحب من موضوع خارجي ذي قيمة وأهمية". (قاسم، 2002 ،ص119).

ترى Ajuria Guerra أن العاطفة هي محور العلاقة التي تربط الطفل بأمه، ومن ثم اقترن مفهوم الحرمان العاطفي الأمومي بنقص أو انعدام هده العلاقة.

وفي كتابها « La psychopathologie de l'enfants » يعرف الحرمان الأمومي "هو النقص الموجود في علاقة الطفل بـــأمه، أي التفاعل بينهما خاصة بالنسبة للطفل الذي يعيش في المؤسسات، كذلك فهو ناتج عن الأم الموضوعية". (Guerra, 1984, p23)

- **الحرمان الامومي:** يعني نوعا من الاضطرابات ينتج عن نقص في العلاقة والعناية العاطفية والمنشطة من طرف الأم آو بديلتها، وهذا النقص يعطي اضطرابات سلوكية، نفسية، اجتماعية، عقلية وحركية حسب ضخامة الاضطراب، وكلما زادت مدة الحرمان كلما زادت خطورتها على مصير الطفل.(ميموني، 2003، ص165)

الحرمان في هذه الدراسة هو نقص أو انعدام أو فقدان الطفل لعاطفة أمه وحنانها، نتيجة غيابها بسبب طلاقها أو وفاتها، مما يؤثر سلبيا على النمو النفسي والاجتماعي السليم للطفل، حيث يؤدي إلى نتائج سلبية على نفسية الطفل وسلوكا ته وحدوث اضطرابات نفسية، والذي لاحظنا آثاره السلبية في شخصية الطفل المحروم عاطفيا من خلال تجربتنا العيادية مع الأطفال.

حالات الحرمان:

أ- **التفريق:** تفريق الطفل عن أمه أو بدبلتها لمدة طويلة دون توفير له وجه أمومي ثابت ومطمئن يؤدي إلى اضطرابه، ويحدث هذا خاصة في حالات الاستشفاء مرض الطفل أو أمه، وعن أسباب أخرى: الطلاق، وفاة الأم، أو لأسباب قضائية، لكن عندما يرجع الطفل إلى الأم تزول الاضطرابات تدريجيا مما يعني أن التفريق لا يؤدي دائما إلى الحرمان خاصة إذا وجد بديلا مكافئا ومطمئنا.

ب- وضع الطفل بمؤسسة مثل حضانة أو مؤسسة اجتماعية أخرى لأسباب مختلفة مثل الأطفال الغير شرعيين وحالات اليتامى. تحدث حالات الحرمان الخطيرة بالمؤسسات وتؤدي إلى اضطرابات وخيمة، وتعتبر المؤسسات المحيط الأكثر خطورة على صحة الطفل النفسية والجسمية.

- وضع الطفل بمؤسسة والتخلي عنه بعد ستة أشهر بعدما كون علاقة تعلق مع أمه أو أم بديلها تجعل الطفل في حداد حاد يشكل خطرا على صحته النفسية وحتى على حياته، لأن بعض الأطفال يموتون كأنهم لم يجدوا قوة لمتابعة الحياة بعد فقدان الموضوع اللبيدي.
- وضع الطفل بعد ميلاده، هنا المؤثر ليس التفريق وفقدان الموضوع اللبيدي أو التعلق بل عدم وجود موضوع ثابت يتعلق به ويوظف فيه طاقاته اللبيدية والعدوانية.

ت- حرمان أمومي رغم وجود الأم: تشير (Ainsworth. M 1979) إلى كل تشويهات العلاقة (Distorsions) الأم لا تبالي بطفلها أو تقسي عليه أو مفرطة الحماية. هذا النوع من الحرمان سماه (Dan. G.H.Harlow) الحرمان الكامن larvée وهو خطير جدا لأنه مخفي نوعا ما ومحاطا بكل دفاعات الوالدين. (ميموني، 2003، ص167)

في حين نجد أن (Bowlby.J ;1980) تتحدث عن:

1- الحرمان التام (الكلي) هو الذي لا يجد فيه الطفل عادة فردا واحدا مخصصا لرعايته بطريقة شخصية يشعر معه بالأمن والطمأنينة، و يشمل ذلك فقدان الأم أو البديلة بسبب الموت أو المرض أو الهجرة أو الانفصال، وكذلك نقل الطفل من الأم أو البديلة لها إلى أشخاص غرباء عنه بحكم قضائي أو بواسطة الهيئات الطبية أو الاجتماعية. (قاسم، 2002، ص34)، ولا يكون للطفل أقارب يعيش معهم ويقومون برعايته، كما قد يكون إبعاد الطفل عن أمه نظرا لسوء التوافق بين والديه، ويشكل فقدان الأم والحرمان على الطفل صدمة قاسية تؤثر على نموه بصفة عامة وعلى شخصيته بصفة خاصة.

2-الحرمان الجزئي هو الذي نجده إذا ما كان الطفل يعيش في منزله، ولا تستطيع الأم الحقيقية أو البديلة منحه المحبة والعناية التي يحتاجها، أو إذا كان الطفل بعيدا عن رعاية أمه لأي سبب من الأسباب، ويعد هذا الحرمان بسيطا إذا وجد الطفل رعاية من شخص آخر. (سمارة وآخرون، 1999، ص73)

5- الشخصية: يعرّف علم النفس الشخصية بأنها مجموعة شاملة من السمات الانفعالية والسلوكية والتي يوصف بها الفرد وتميز الفرد ويتميز بها عن غيره، وتظهر خلال مواقف الحياة المختلفة وهي ثابتة نسبيا وقابلة للنمو، كما أنها تعد حصيلة تفاعل تلك السمات مع بعضها البعض. (حجازي، 2009، ص33).

توجد تعاريف عديدة للشخصية حيث عرفت حسب اتجاهات كل عالم و حسب وجهة نظره حول طبيعة سلوك الإنسان و حسب النظرية التي يتبناها، لذلك سنقدم التعاريف التالية:

يعرّف S.Freud الشخصية بأنها "تنظيم ثلاثي يتألف من مجموعات ثلاث من الأنظمة الفرعية وهي الهو، الأنا و الأنا الأعلى". (مجيد، 2008، ص22)

يرى (سيغموند فرويد) أن فهمنا للحياة العقلية للفرد وبالتالي شخصيته ستكون قاصرا إذا أغفلنا على أمرين على جانب كبير من الأهمية و هما:

- **اللاشعور:** و أثره على سلوك الشخص، وهو حصيلة الدوافع الأولية والأفكار والرغبات المؤلمة والمخيفة التي كبتت كبتا عنيفا خصوصا في الطفولة المبكرة، أما الشعور فهو حصيلته وعلى الفرد إدراك القوى البيئية، المادية، الاجتماعية و الاقتصادية.

- **الديناميكية:** وتعني الحركة المستمرة، فالحياة العقلية للفرد مجال نشط أي ديناميكي تتفاعل فيه وتتصارع قوى الشعور الكابتة مع قوى اللاشعور المكبوتة وسلوك الإنسان ما هو إلا محصلة هذا الصراع. (الزيتي، 1974، ص24)

- الشخصية حسب (سغموند فوريد) هي تكامل الهو والأنا والأنا الأعلى، وأن كل دراسة عن الشخصية حسب رأيه هي بالضرورة تحليلية وعليها أن تفتش في تاريخ الليبيدو عن الأسباب التي تدفع الإنسان إلى التصرف على هذا النحو أو ذاك.
- الشخصية عند Adler اعتبر شخصية الإنسان هي ما يتميز به من وسائل لحل المشاكل التي تعترضه، أو للتوصل إلى الأهداف التي خطها لنفسه.
- الشخصية عند يونغ Young هي تكامل بين الأنا واللاوعي الجماعي والشخصي والعقد النفسية. (شاهين، 1995، ص39)
- تتكون الشخصية حسب Watson من مجموع عادات متعلمة أو مجموع سمات مكتسبة طبقا للارتباط الشرطي بين المنبهات والاستجابات وليس هناك شيء اسمه ذكاء موروث أو غرائز موروثة فالذكاء طرق مكتسبة في التفكير السليم، والغرائز والانفعالات طرق مكتسبة بمواقف اللذة والألم. والتفكير ما هو إلا كلام داخلي مسؤول عنه غدد وأجهزة داخلية محكومة بشروط بيولوجية محددة. (الزيتي، 1974، ص102)

يمكن القول أنه من خلال هذا التعريف بأن الشخصية هي جملة من العادات المكتسبة من خلال أسلوب الاشراط بين المنبه والاستجابة، وكل هذه العادات لا تكون موروثة.

أما (جون ديوي) فيرى أن الشخصية حصيلة تفاعل الفرد في بيئته ونتيجة ذلك تكون أسلوب تكيفي خاص غالب على سلوك الفرد يوضح طريقته في حل المشكلات وفي تعامله مع الناس.

- حسب جوردن ألبورت Gorden Alport الشخصية هي التنظيم الديناميكي الذي يكمن بداخل الفرد والذي ينظم كل الأجهزة النفسية والجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير. (غنيم، 1983، ص8)

ترجع أهمية هذه التعاريف من ناحية أنها تركز على التنظيم الداخلي للأجهزة النفسية والجسمية للفرد أكثر من اهتمامه بالمظاهر السطحية، كما يهتم بالطابع المميز للفرد وكذلك تكيفه مع البيئة المحيطة.

أما Cattel :فيعرف الشخصية بأنها كل ما يسمح لنا بالتنبؤ بما سيفعله الشخص في مواقف معينة، والتي تهتم بجمع أنماط السلوك الإنساني الظاهر والباطن. (Guerra, 1977, p86)

الشخصية إذن هي تنظيم متكامل من الصفات الجسمية والعقلية والاجتماعية التي تظهر في العلاقات الاجتماعية للفرد والتي تميزه عن غيره من الأفراد.

التعلق وأنواعه:

يعرف سلوك التعلق في الطفولة على أنه تلك الأفعال التي يأتيها الطفل نتيجة لما يكتسبه من خلال التصاقه بمن يتولى رعايته وحضانته. (Waters & Deane, 1985, P46)

يرجع (Berger, 1987, P 136) جزءا كبيرا من أهمية التعلق كظاهرة نفسية مؤثرة وفعالة في سنوات الطفولة المبكرة إلى جذور التحليل النفسي التي أكدت على أهمية نمو هذه العلاقة الانفعالية العاطفية مبكرا بين الأم والطفل.

يرى(Hetheringthon& Parke) أن بداية التعلق تبدأ في ابتسام الرضيع لأمه بصورة أكثر من الغرباء وهذا غالبا ما يحدث في عمر الثلاثة أشهر، وبعد ثلاث شهور أخرى قد يبكي عندما تتركه أمه، وبعد أشهر قليلة يتدرب على البقاء بجوارها في جميع الأوضاع، ويعد هذا المظهر في النمو من أهم انجازات تلك المرحلة، وهذا النمو النوعي هو ما يطلق عليه التعلق الاجتماعي. (Hetheringthon & Parke, 1987, P245)

أما Bowlby يرى أن التعلق هو إحدى الصور المبكرة للتفاعل الاجتماعي الذي يتعرض له الفرد منذ ولادته، فكونه يحتاج للرعاية والعناية يبدأ التعلق بالشخص الذي يقدم له هذه الاحتياجات التي تساعده على البقاء و يكون هذا الشخص عادة هو الأم، إضافة إلى ذلك الطفل يولد مجهزا بيولوجيا لاستنزاع اهتمام الشخص الحاضن له، فسلوكيات مثل؛ المناغاة و البكاء والابتسامة تدفع بالشخص الحاضن للاقتراب من الطفل، ومن حيث أنها حاجة مرتبطة بالبقاء يفترض Bowlby أنها تتصل بأنظمة تكيفية تنطوي على مكونات عاطفية و سلوكية تساعد الطفل ليحافظ على الشخص الذي يقدم له الرعاية، ويرى أن التعلق يشير إلى نزعة الطفل في إقامة علاقة عاطفية حميمة مع أشخاص معينين في محيطه الاجتماعي. (بني يونس، 2005، ص23)، وأهمية التعلق تعود إلى مستوى التعلق الآمن في عمر السنة الأولى من حياة الطفل حيث يضع أسس تكوين ونضج الشخصية خلال مرحلة الطفولة المبكرة. (Bowlby, 1973, p20)

كما يشير (Ainsworth, 1979) على أن نوعية ارتباط الطفل وتعلقه بأمه يعتمد بشكل كبير على نوعية الأمومة التي يتلقاها، وتفترض أن أمهات الأطفال ذوي التعلق الآمن يكنّ مستجيبات منذ البداية المبكرة لحياة الطفل، كما يعتقد أن الأطفال يتعلمون ما يتوقع من الناس الآخرين من خبراتهم المبكرة مع من قام على رعايتهم مبكرا. (كامل، 1991، ص99)

- **أنواع التعلق:** صنفت Ainsworth ثلاثة أنماط للتعلق وهي:

1- **النمط الآمن (التعلق الآمن)** وهو الطفل الذي يلعب بارتياح أثناء وجود الأم و يظهر بعض التحفظ أثناء وجود الغريب من حيث أنه يتجول في أرجاء الغرفة، لكن يعود إلى أمه بسرعة، ويظهر الغضب قليلا إلا أنه سرعان ما يعود لاستئناف اللعب.

2- **النمط القلق(التعلق الغير آمن)** يظهر عليه القلق قبل مرحلة الانفصال ولا يستطيع أن يستكشف البيئة و بعد عودة الأم يلتصق بها ويظهر عليه القلق.

3- **النمط التجنبي** وفي هذا النمط يقوم الطفل باستكشاف البيئة من حوله دون الاهتمام لمكان وجود الأم قبل مرحلة الانفصال، كما أنه لا يأبه كثيرا بعد الانفصال عن أمه، ولا يتوتر كثيرا لغيابها بالإضافة إلى أنه يرتاح بسهولة للغرباء. (بني يونس، 2005، ص25)

يؤكد (Bowlby, 1953) على أن تكوين واستمرار التعلق قوي مع صورة ثابتة للأم ضروري جدا للصحة العقلية، ويرى أن كثيرا من المشكلات السلوكية والشخصية تميل لأن تحدث فيما بعد في حياة الطفل إذا لم يكن قد حقق اتصالا مشبعا مع الأم أثناء الطفولة المبكرة، وأوضح أن الحرمان من العلاقة مع الأم في مراحل النمو المبكرة يؤدي إلى عدم إنماء و تقدم القدرة على إقامة علاقة الحب مع الناس الآخرين. (قاسم، 2002، ص23)

- **مراحل التعلق:** تكلم Bowlby عن ظاهرة التعلق ظاهرة بشرية مشاهدة، فوضع أربع مراحل يمر بها التعلق:

✓ في اثنا عشر أسبوع تكون العلاقة موجودة ولكنها غير موجهة نحو شخص معين.

✓ في ستة أشهر تكون إشارات على صورة واحدة أو عدة صور.

✓ في ثمانية أشهر يبقى الطفل مقرب من صورة معينة عن طريق التنقل والإشارات اعتمادا على أمه، وكلما يطمئن يعود إليها.

✓ يظهر خوفا من الغرباء، ولكن يتعلق بصورة ثانوية يكون قد عهدها في محيطه. (Bowlby. J, 1980 ,p12).

التعلق وقلق الانفصال

يظهر الطفل التعلق بأمه بدءا من مرحلة الرضاعة، فاحتياجات الطفل المتكررة إلى خدمات الأم يحقق نوعا من التلازم والاقتران بينهما، كما يرى بعض الدارسين لموضوع التعلق بين الرضيع وأمه ليس تعلقا من طرف واحد أي من جانب الرضيع؛ وإنما من جانب الأم برضيعها أيضا بحيث يقود هذا التعلق المتبادل إلى تعديل سلوك كل منهما، وأن شدة تعلق الطفل بأمه تتزايد باستمرار خلال السنوات الثلاث الأولى بمن يشبع حاجاته أو بمن يعطيه الحب والحنان، هذه الحاجة أولية بمعنى أن الطفل يولد مزود بالحاجة إلى وجود شخص آخر يزوده بالاستثارة المستمرة فتزداد الحاجة بتزايد نموه وتعدد أنواع الاستثارة التي يستقبلها من الآخرين، ولذلك تزداد صور التعلق عنده، وربما كان هذا السبب هو ما يكمن خلف قلق الانفصال. (عريفج، 2002، ص131)

يذهب Rank إلى أن الإنسان يشعر في جميع مراحل نمو شخصيته بخبرات متتالية من الانفصال، ويعتبر الميلاد أول وأهم خبرة للانفصال تمر بالإنسان وتسبب له صدمة مؤلمة، وتثير فيه قلقا شديدا وهو ما سماه" بالقلق الأولي" ويفسر جميع حالات القلق التالية على أساس قلق الميلاد هي عبارة عن تنفيس أو تفريغ لانفعال القلق الأولي، والانفصال عن الأم هو الصدمة الأولى التي تثير القلق الأولي، ويصبح كل انفعال فيما بعد من أي نوع كان مسببا لظهور القلق، الفطام يثير القلق لأنه يتضمن انفصالا عن ثدي الأم، والذهاب إلى المدرسة يثير القلق لأنه يتضمن انفصالا عن الأم، والزواج يثير القلق لأنه يتضمن الانفصال عن حياة الوحدة، القلق إذن في رأي (رانك) هو الخوف الذي تتضمنه كل هذه الانفعالات المختلفة. (نجاتي،1998، ص35)

أما **(هورني)** فترى الإساءة الأساسية للطفل الذي لا يشعر بالحب والاحترام في سنواته الأولى يميل إلى إظهار العداء نحو والديه والأشخاص الآخرين، ولما كان الطفل ضعيفا ويعتمد على والديه في جميع حاجاته، فهو لا يستطيع إظهار كرهه وشعوره العدواني نحو والديه، فالصراع النموذجي الذي يؤدي إلى القلق هو الصراع بين الاعتماد على الوالدين ودوافع العدوان الموجهة نحوهما، الشعور العدواني نحو الوالدين يولد القلق مما يؤدي به إلى كبت الشعور العدواني وكبت هذا الشعور يجرد الطفل من قدرته على إدراك الخطر. (نجاتي، 1989، ص40)

تبدأ استجابة القلق بمعنى بيولوجي وهو الميلاد والانفصال عن الأم بمعنى فقدان مباشر للموضوع، وبعد ذلك فقدان الموضوع بطريقة غير مباشرة، فحالة الطفل الذي يجد نفسه مع شخص غريب بدلا من أمه سوف يظهر القلق الذي نسبناه إلى خطر فقدان الموضوع، وهنا القلق معقدا أكثر. وإنه لا يوجد شك في أن الطفل يظهر قلقا ولكن تعبير وجهه و بكاءه يدلان على أنه يشعر بالألم أيضا الطفل لا يستطيع بعد أن يميز بين الغياب المؤقت والغياب الدائم، بمجرد أن يفتقد الطفل أمه يتصرف كأنه لن يراها أبدا مرة أخرى.

السبب الأول للقلق الذي يحدثه الأنا هو عدم إدراك الموضوع (وهو ما يعادل فقدان الموضوع ذاته) وحتى الآن لا تظهر مشكلة فقدان الحب، و تأخذ الخبرة فيما بعد تعلم الطفل أن الموضوع يمكن أن يكون موجودا و لكنه غاضب منه، وحينذاك يصبح فقدان حب الموضوع خطرا جديدا و مسببا لحدوث القلق. (نجاتي، 1989، ص152)

يتحدد قلق الانفصال بنوع وطبيعة تعلق الطفل بالحاضن، ومن هنا تتضح طبيعة العلاقة العكسية التي تربط بين كل من مستوى التعلق ومستوى قلق الانفصال، ولعل هذا ما تأكده (Meyer, 1992) في دراسة لها حول تعلق الصغار وقلق الانفصال عن الأم حيث ركزت على الخبرات الانفعالية للأم مع طفلها وعلاقتها بسلوك الطفل وتأثيرها المرتبط بتعلق الطفل، وانتهت الدراسة إلى أن معدل تعبيرا الأطفال عن الغضب نحو أمهاتهم وهو ما يعكس مستوى تعلقهم قد ارتبط بدرجة الحذر التي يبديها الطفل نحو الغرباء أثناء انفصاله عن أمه أو التصاقه بها. (Meyer.J, 1992, p16)

أما (Orion, 2002) اهتمت بالعلاقة بين مظاهر التعلق والانفصال عند الأطفال باعتبارها من مرتكزات النمو الانفعالي–الاجتماعي للشخصية، وقد ناقشت الدراسة حركات الطفل كإحدى طرق أو خطوات التدرج نحو الاستقلالية والانفصال وذلك بداية من الزحف و الحبو إلى المشي مستندا على الآخرين، وغير أن هذا الاهتمام يشعر الطفل بالحركية وتنامي الاستقلالية والتحكم الذاتي لديه. (Orion, 2002, p17)

أسباب الحرمان العاطفي الأمومي

ترجع أسباب الحرمان العاطفي من الأم لعدة أسباب سوف نعرضها على النحو التالي:

الانفصال: يتمثل في انفصال الطفل عن أمه أو البديلة عنها مدة طويلة دون توفير له جو أمومي ثابت ومطمئن مما يؤدي إلى وقوعه في اضطرابات الحرمان و يحدث هذا خاصة في حالات الاستشفاء(مرض الطفل أو أمه)، أو بسبب طلاق أو وفاة الأم أو لأسباب قضائية تجبر على فصل الطفل عن والديه.

الطلاق: الطلاق هو نوع من التفكك الاجتماعي الذي يحدث بين الزوجين وهو أكبر خطر يهدد سلامة الأسرة وأفرادها فهو انحلال يصيب الروابط التي تربط الأسرة، وقد يؤدي هذا الأخير إلى اضطرابات الأبناء سلوكيا.

وفاة أحد الوالدين: وفاة أحد الوالدين يترك أثار سلبية في شخصية الطفل خاصة إذا كان الشخص المتوفى هو الأم باعتبارها مصدر الحنان والعطف والدفء والأمان، ومن هناك تأتي شدة الإحباط الذي يصاب به الطفل عند انفصاله عن أمه. (خيري، 1976، ص21)

وضع الطفل بمؤسسة أو مركز: تحدث حالات من الحرمان داخل المؤسسات و تؤدي على اضطرابات وخيمة، فوضع الطفل في مركز والتخلي عنه، خاصة في حالة ما إذا استطاع تكوين علاقة جيدة مع الأم أو البديلة عنها، حيث يصبح الطفل في حالة حداد حاد يشكل خطر على صحته النفسية وعلى حياته.

حرمان أمومي رغم وجود الأم: يشير إلى اختلال أو تشوه العلاقة بين الأم و الطفل، الأم التي تهمل الطفل أو تفرط في حمايته يعرض الطفل إلى حرمان عاطفي يسميه Harlow" بالحرمان الكامن" وهو خطير جدا لأنه مخفي نوعا ما، ويكون محاطا بكل دفاعات الوالدين. (ميموني، 2005، ص167)

الإهمال: إن الحالات التي يهمل فيها الآباء أطفالهم أنواع كثيرة، ويمكن التعرف على صورتين من الإهمال:

- الإهمال البدني: يرجع غالبا إلى عوامل اقتصادية أو لاعتلال صحة الأم و إلى الجهل كذلك.
- الإهمال الانفعالي: ويكون نتيجة عدم اتزان الوالدين أو مرضهم العقلي أو إلى الضعف العقلي. (بولبي، 1996، ص89)

الزواج غير الشرعي: يقصد به العمليات الجنسية المحرمة شرعا والمنبوذة اجتماعيا، ونتيجة هذه العلاقات هي الأطفال غير شرعيين، ويكون مصير هؤلاء الأطفال النبذ المطلق من طرف الأب والنسبي من طرف الأم، وهذا ما يوجههم إلى مراكز خاصة بهم، مما يولد لديهم حرمان عاطفي كلي والذي يؤثر بدوره على حياة الطفل الاجتماعية والنفسية والعقلية. (حجازي، 1981، ص173)

العوامل المؤثرة في الحرمان العاطفي من الأم:

عمر الطفل وقت حدوث الحرمان: إن عمر الطفل وقت حدوث الحرمان أو تصدع العلاقة مع الوالدين أو أحدهما قد تكون شديدة الدلالة في علاقتها بالآثار المباشرة وفي الآثار التالية لنمو الشخصية، وإن رد الفعل اتجاه الحرمان المؤقت أو الدائم قد يكون أقل حدة في عمر مبكرة جدا، قبل إقامة علاقة ورابطة ثابتة مع صورة الأم، وإذا ما اتبع الانفصال بتوفير رعاية عاجلة من صورة أمومية كافية، فقد

لا يكون هناك تأثير خطير سواء مباشر أو طويل المدى، أما إذا اتبع الانفصال بحرمان شديد مستمر لفترة طويلة إن الأطفال حتى أولئك الذين في عمر مبكرة، قد يتأثرون بشكل خطير، إن الفترة الأكثر حساسية قد تكون الفترة التي في أثنائها يكون الطفل في عملية إقامة علاقات وجدانية ثابتة، وإذا ما حدث الحرمان قبل أن تأسس هذه العلاقات أثناء هذه الفترة الحرجة، قد يكون عاجزا بشكل دائم عن القدرة على إقامة أي علاقات.

مدة وخبرة الحرمان أو الانفصال: نجد أنه مع حدة الانفصال و طوله يصبح الضغط و القلق أشد عنفا إذا ما زادت مدة الحرمان عن يوم كامل، ويختلف التأثير في الحرمان الطويل المدى نحو ظروف جيدة من الرعاية البديلة عن الانفصال أو الحرمان الطويل في بيئة محرومة من هذه الرعاية، كلما طالت مدة الحرمان زاد تأخر نمو الطفل. فقد أوضحا Spitz et wolf, 1964 في العلاقة بين مدة الحرمان من عطف الوالدين وسلوك الطفل أنه إذا ما أعيد الطفل لوالديه قبل انقضاء فترة ثلاثة شهور من الحرمان، أن شفاء الطفل من آثار هذا الحرمان يصبح ممكنا.

خبرات الانفصال والحرمان السابقة: تكون خبرات الانفصال المتعددة متراكمة لتكرارها، الأمر الذي يزيد من عدم قابلية الطفل للتكيف لخبرات الانفصال التالية، فتكرار انفصال الطفل عن أمه يجعل لديه نوعا من التشوش والتذبذب في علاقته بأمه أو بالأم البديلة، لهذا خبرات الحرمان السابقة والمتكررة تجعل حدة الانفصال الطويل شديدة الأثر وخطيرة العواقب.

علاقة الطفل مع الوالدين: الآثار التي تنتج عن الحرمان تختلف تبعا لنوعية العلاقة التي كانت تربط الطفل بأمه قبل انفصاله عنها ولقد أوضح كل من (Stayon et Ainswort, 1983) أن ضعفا قليل المدى يتبع انفصال الأطفال الذين كانوا يتمتعون باتصال آمن وثيق مع الوالدين خاصة الأم. (قاسم، 2002، ص38).

الرعاية الأمومية التي تعقب الحرمان: هناك تغيرات هامة ظاهرة تتضح في أحوال الطفل تعقب إعادته لأمه أو للأم البديلة المناسبة، حيث نجد سرعة اختفاء المرض عندما يوضع الطفل في بيت ممتاز، فهناك ينتعش بسرعة ويصبح أكثر استجابة، كما يزيد وزنه وتتحسن حالته بشكل ظاهر. فتوفير أمومة بديلة كافية بعد الانفصال عن الأم الحقيقة يخفف من الصدمة ويمنع تطور ونمو الاضطرابات الخطيرة، ولكن إذا ما انتقل الطفل بعد الانفصال إلى علاقة أمومية غير مشبعة إن الأثر الخطير للانفصال يكون أقوى وأشد.

الخبرات التالية المعززة للحرمان: لطبيعة الخبرات التالية للحرمان دلالة كبيرة بالنسبة للآثار طويلة المدى، حيث نجد أن الخبرات التي تعقب الحرمان قد تدعم و تعزز بدرجات متفاوتة أو تحسن من الضغوط الناتجة عن الحرمان الأولي، وقد وجدت خبرات صدمية متكررة وحرمانا متكررا أو مستمرا أثناء الطفولة و الطفولة المبكرة مثل؛ تغيرات مستمرة في البيوت البديلة وتحول وتغير مستمر في الأشخاص داخل المؤسسة.

العلاقة مع الوالدين أثناء الانفصال المؤقت: إذا كان الطفل في الحرمان المؤقت، قادرا على الاحتفاظ والإبقاء على علاقته بوالديه، أثر الحرمان يكون أقل حدة عما إذا كان هناك قطع أو إنهاء تام للعلاقة.
تأثير البيئة الغريبة: حيث نجد أن ضغوط الحرمان من الوالدين تكون قليلة نسبيا إذا ما ظل الطفل في محيط مألوف وبيئة مألوفة له بعد انفصاله عن والديه، بما في ذلك أقرانه. ويرجع ذلك نسبيا إلى وجود الآخرين الذين ارتبط وتعلق بهم الطفل، أما انتقال الطفل إلى بيئة غريبة عنه وأشخاص غرباء بعد انفصاله وحرمانه من والديه يزيد من ألم الحرمان عليه، كما في أطفال المؤسسات. (قاسم، 2002، ص42).

دور الأم في حياة الطفل:

عند الحديث عن رعاية الأطفال الصغار تحتل الأم مركز الأهمية في عملية التنشئة المبكرة للطفل، وكما يتضح من الدراسات النفسية والتربوية لها تأثيرها على نمو الطفل و تحديد شخصيته.

تعبر الأم بإشارتها وحركاتها وصوتها عن ترحيبها العاطفي لصغيرها، وهذا ما يميز تفاعل الطفل بمظاهر الود والحب، والذي ينتج عنه ما نسميه بـــ"اتصال عاطفي"، كما تعتبر الابتسامة كنوع من التفاعل من التحية الاجتماعية، إذ نجد الطفل قد يبتسم بعد أن يتمكن من حل نوع من المفارقة أي بعد أن يكون قد تبين ماهية هذا الشعور، يسهل سلوك الابتسامة بالفعل العلاقة العاطفية التي تكون بين الطفل وأمه ثم أفراد أسرته ككل. (سلامة، 1981، ص157)

وعن أهمية دور الأم في حياة الطفل يؤكد (S.Freud, 1983) على أن علاقة الطفل بأمه هي علاقة فريدة لا نظير لها ويرى أن اللذة التي يشتقها الطفل من إطعامه تكون هي الأساس لنمو العلاقة الأولية بالموضوع مع الأم، فالطفل ينتقل بالتدرج من النرجسية الأولية إلى الحب الموضوعي حين ترتبط مشاعره بالأم أو البديلة، وهذا يؤلف أول ارتباط حقيقي بشخص آخر، وفي هذا الصدد نجد (Bowlby, 1980) أن ما يعتقد أنه ضروري لضمان الصحة العقلية هو ضرورة ممارسة الطفل لنوع من العلاقة الدافئة القريبة مع الأم أو من يحل محلها بصفة دائمة، هذا ويرى (بولبي) أن السنتين ونصف السنوات الأولى تتشكل فيها الرابطة بين الأم والطفل إذا لم يحدث ذلك في هذه الفترة. إن أي درجة من الامومة فيما بعد لا يمكنها معالجة الموقف، نسبة كبيرة من الطفولة تتأثر بصدمة الانفصال عن الأم. تكون الأم هي الأنا المساعدة التي تعمل على التكيف الضروري لحماية وحفظ الحياة ورفع مستويات النمو وتطورها (قاسم، 2002، ص19). تحمي الأم طفلها من تفاقم الاثارات بما أن النظام الدفاعي لم يتوظف بعد، أي أن الأم تتصرف في مكان طفلها فتقوم مقام الأنا الذي لا يملكه بعد، وهذا ما يسميه التحليل النفسي (صادة الاثارات). par excitation (Rymond & Rivére,1980, p50).

كما يرى Spitz أن الطفل يحتاج إلى لمس الأم في وجهها ويدها ليستقبل من خلالها العالم الخارجي، للأم دور بيولوجي وآخر وجداني وكلاهما يكملان بعضهما (Zazzo.R, 1986, p40)، وترى A.Freud أن الإشباع المكرر للحاجات البدنية المبكرة هي العامل الأساسي الذي يغري الطفل ويصرف اهتمامه الليبيدي عن جسمه، وحينها يأخذ هذا الاهتمام في التوجيه إلى من كان مسؤولا عن تهيئة

هذه اللذة مثل التطور من حالة مركزية الذات إلى العلاقة بموضوع معين ضروري في نمو الطفل نموا انفعاليا سويا. (قاسم، 2002، ص20)

وقد أشار (Gold, 1943) و (Bowlby.J, 1952) إلى أهمية دور الأم في عملية تطبيع وليدها وأنه عندما يعتني بالحاجات الفيزيولوجية الأساسية للأطفال ولكن دون أن يلقوا علاقة مناسبة مع الشخصية التي تقوم محل الأم، نلاحظ تأخيرا في نموهم غالبا ما يحدث بصورة قاطعة، وأن حرمان الطفل الصغير لفترة طويلة من عناية الأم قد يكون له آثار خطيرة وعميقة على خصائصه وشخصيته وبالتالي على مستقبل حياته. (أحمد، 1998، ص6)

مراحل استجابة الطفل للحرمان من الأم

يعيش الطفل خلال الأشهر الأولى في لا تمايز بينه وبين العالم الخارجي، الأم بثباتها واستجاباتها المتكيفة لحاجات طفلها وتوظيفها له تعطي له الشعور بالاطمئنان فتحت تأثير هذه العناية والحماية يبدأ الطفل يدرك العالم الخارجي شيئا فشيئا، لكن إذا حرم الطفل من ذلك مبكرا يترجمه في شكل سلوكات غير سوية.

ويرى Ribelle أن الطفل الرضيع يستجيب للحرمان بالغضب و إظهار اضطراب في السلوك وفقدان الإحساس بالألم في مواقف الخطر التي تثير الخوف في الأطفال الأسوياء. (محمد، 1977، ص79)

كما يستجيب الطفل لحرمانه من الأم والانفصال عنها بالحداد وهو بمثابة عملية نفسية تبدأ بفقدان الأم أو أحد الأفراد أو الموضوعات المحبوبة، والهدف منها هو التخلي عن الشخص المفقود فالغرض منها هو مساعدة الأفراد الذين في حالة حداد على تقبل الحقيقة بأن شخصا ما كانوا مرتبطين به قد رحل. (قاسم، 2002، ص25)

وقد وصف (Bowlby, 1969) ثلاث مراحل يستجيب فيها للحرمان والانفصال عن أمه هي كالتالي:

مرحلة الاحتجاج: تبدأ هذه المرحلة بعد الحرمان مباشرة أو تتأخر عنه ببعض الوقت و يمكن أن تدوم من عدة ساعات إلى أسبوع أو أكثر، يظهر الطفل خلالها ضيق شديد لفقدانه لأمه، ويبحث بكل الوسائل لاستعادتها مستخدما كل طاقته عن طريق البكاء، والصراخ والإلقاء بنفسه في كل الاتجاهات، ويرفض كل من يقترب منه، يقول (Bowlby, 1970) بأن الطفل يتشبث أحيانا بأحد الأشخاص فاقدا الأمل.

مرحلة اليأس(فقدان الأمل): هي مرحلة تلي مرحلة الاحتجاج، يظهر الطفل القلق لغياب الأم ويفقد الأمل تدريجيا في إيجادها، ويتميز سلوكه في هذه المرحلة بانخفاض الحركات النشطة ، وهو يبكي بشكل متقطع، وتغلب عليه الانطوائية وقلة النشاط ، ويبدو في حالة حداد عميقة، و تتميز هذه المرحلة بالهدوء مما يدفع إلى ظن خاطئ بأن الطفل بدأ يميل إلى الانخفاض.

مرحلة تلاشي التعلق(الانفصال) في هذه المرحلة يمكن ملاحظة اهتمام الطفل بمن حوله، فهو لا يرفض الرعاية، يتقبل الطعام والعلاج، ويميل شيئا فشيئا إلى التبادل الاجتماعي وإلى الابتسام وتقبل

الألعاب، كما أن عودة الأم لزيارته تظهر غياب سلوك التعلق لديه، الطفل لا يكترث بمشاهدة الأم ويبقى بعيدا أو كأنه لا يعرفها من قبل ويبدو فاقدا للاهتمام بهاو وكأن عودتها لا تعنيه. (قنطار، 1992، ص173)

مجرد اختفاء الأم من حياة الطفل بالموت أو الطلاق أو بسبب إيداعه في مؤسسة ليس هو العامل الوحيد المسؤول عن النتائج السلبية التي تلحق بالطفل مثل البكاء في بداية الحرمان ثم اختفاء البكاء وظهور نوع من الجمود والعبوس والتبلد، وأشار إليها Spitz في دراسة لمظاهر الاكتئاب الأناكلينيكي، المتغيرات الحقيقية المسؤولة عن ظهور النتائج السلبية تلك ترجع إلى عدم توفر الخبرات التفاعلية الطبيعية بالأم وهي خبرات الحنان والحب غير المشروط و العطف والأمان والدفء. (ملحم، 2011، ص227)

انعكاسات الحرمان العاطفي على شخصية الطفل

إن حرمان الطفل من حب وعطف أمه غالبا ما يعوق نموه الجسمي ويؤخر تطوره العقلي ويؤثر على صحة الطفل النفسية، وهذه الآثار يمكن تمييزها بوضوح خلال الأسابيع الأولى لولادة الطفل والأطفال دون السابعة، وهنا نتناول آثار الحرمان العاطفي على كل من الطفل الرضيع وصغار الأطفال:

- انعكاسات الحرمان العاطفي على الطفل الرضيع:

البرود العاطفي: منذ الأسابيع الأولى للولادة الكثيرين من الأطفال تبدو عليهم المظاهر السيئة لفراق أمهاتهم، وقد تختلف تلك المظاهر في أن مستوى تطور الطفل الرضيع سواء على المستوى النفسي أو العقلي أقل من نظيره العادي الذي يعيش مع أمه(في أسرة)، هذا الطفل المحروم من عطف الأم وحنانها وحبها يعجز عن الابتسام وتكون شهيته للأكل ضعيفة أو أنه لا يبدي أهمية للغذاء (عبد الله، 2007، ص161)

حيث يرى Spitz أنه في الشهر الأول التالي للانفصال يشتد بكاء الطفل وفي الشهر الثاني يتحول البكاء إلى أنين، وخلال الشهر الثالث يرفض الطفل الاتصال و ينقص وزنه إضافة إلى البرود الوجهي. (Spitz & René, 1984, p209)

التأخر في الحديث: إن أطفال الملاجيء فيما بين ميلادهم حتى الشهر السادس يكونون أقل انطلاقا من نظرائهم الذين يعيشون مع الأم، وهذا التأخر في الحديث من السمات المميزة للأطفال المحرومين من حنان وعطف الأم وإن اختلفت أعمارهم.

التأخر في النمو العقلي: توصلت عدة دراسات إلى نتائج تؤكد تأخر على مستوى النمو النفسي والعقلي لدى الأطفال المحرومين من أمهاتهم، وهكذا يمكن تحديد السمات المميزة للرضيع الذي عانى الانفصال عن أمه في الشعور بالقلق، الصمت، عدم الشعور بالسعادة، وعدم الاستجابة للابتسامة أو لمداعبة الغير.

- انعكاسات الحرمان العاطفي على صغار الأطفال:

في السنة الأولى: في دراسة لأحد الأطفال فيما بين الشهر السادس والثاني عشر لوحظ أن كثيرا من مظاهر السلوك المحزنة قد بدت على الطفل ومنها: خلجات صوته تبدو بها الخوف و الأسى، دائما في انطواء عمن حوله، متأخر في النشاط ، ويبدو شاردا في نومه وصحوه وجلوسه، وعليه القلق ولا يشتهي الطعام، مناعته ضعيفة ضد العدوى والمرض، كما لوحظ عليه اضطرابات في النمو تعقب الانفصال الأمومي، وبشكل عام يبدو متأخرا في مراحل نموه النفسي والعقلي والمزاجي والاجتماعي عامة.

في السنة الثانية والثالثة: تكون الاستجابة العاطفية في هاتين السنتين من عمر الطفل عنيفة، الطفل دائما ما ينبذ الأم ولا يشعر نحوها بمشاعر الأمومة، ويصبح حزن الطفل على أمه حادا، ويصرخ ويئن، ويمتنع عن الطعام، قد تتفاقم تلك الاستجابات الانفعالية العنيفة ويتجه نحو الجمود، وقد ينكص إلى مرحلة سابقة من مراحل حياته، ولكن مع زيادة طول فترة الانفصال الأطفال يفقدون اتزانهم الانفعالي ويظهر ذلك في:

- الاضطراب النفسي يتمثل في شرود الفكر والانطواء، قضم الأظافر، العدوان الصريح، الصمت وقلة شهيته للطعام.
- الاعتلال البدني يبدو على الطفل في هذه الفترة فقدان القدرة على الكلام، عدم ضبط وظيفة التبول.
- الانحراف الذي يتمثل في السلوك العدائي اتجاه الأم، الإلحاح في طلبها، غيرة شديدة و غضب متزايد يبدو في شكل ثورات.
- سمات شخصية تميل إلى اللاسواء من بين هذه السمات ، الشخصية المتغيرة فقد تبدو استجابات الطفل الذي تعرض لمخاطر الانفصال أو الحرمان الأمومي خادعة غير متوافقة مع طبيعة الحرمان، أو إلى شخصية متخوفة و يتمثل هذا الخوف في مظاهر الإلحاح والغيرة الزائدة.

فيما بين سن الثالثة والخامسة: تبدو انعكاسات الحرمان من الأم خطيرة ففي هذا السن لم يعد الأطفال يعيشون بعيدين عن الواقع، هذا بالإضافة إلى نمو شخصية و سمات مزاجية. (عبد الله، 2007، ص163)، تظهر انعكاسات الحرمان بسرعة في نكوص عام لكل طاقات الطفل، و لكنها تمس في البداية المكتسبات القريبة. (فؤاد، 1985، ص197)

بصفة عامة تتمثل انعكاسات الحرمان العاطفي على الطفل في:

الانعكاسات الجسمية: يؤثر الحرمان على صحة الجسم كل الباحثين يلاحظون ارتفاع مرضية الأطفال في اضطرابات متنوعة وتقول...الإحباط يمنع الجسم من تطوير مناعة ضد الميكروبات العادية وهكذا يظهر الإحباط كعامل أساسي في مرضية ووفيات الأطفال.

الانعكاسات النفس حركية: تأخر حركي جزئي أو شامل حسب الأطفال، تأخر في اكتساب الوضعيات مثل الجلوس، الحبو، المشي.

- اضطرابات نفس- حركية وإيقاعات مثل: التأرجح الرأس أو كل الجسم في تمايل مستمر من الوراء إلى الأمام أو من اليمين إلى الشمال ، مص الأصابع، اللعب بالأيدي، إغلاق العينين بواسطة الأصابع.
- ضرب الرأس على السرير أو الحائط.
- نجد أيضا اضطرابات حركية فيما يخص القبض: عدم التحكم في اليد، ضعف التنسيق بين الحركة والعين، ضعف الاهتمام بالأشياء.

اضطرابات الذكاء واللغة: حسب J.aubry حاصل النمو ينخفض بقدر ما ازدادت مدة بقاء الطفل بالمؤسسة، النمو يضطرب ويمس التدهور:

- اللغة تأخر شامل أو جزئي:
- لغة آلية وفقيرة.
- الذكاء العام وتكوين المفاهيم والتجريد ضعف الفهم والتركيز والانتباه وعدم وضع العلاقة بين الأشياء وفهم ترابطها.

العلاقات الاجتماعية: نجد نوعين من الأطفال بعضهم في حركة دائمة يلمسون كل شيء يتشبثون بكل من يدخل إلى الحضانة-غريب أو معروف- يلتصقون به ويطلبون منه حملهم والاهتمام بهم، مما يجعل الملاحظ الغريب يضن أن الأطفال اجتماعيون ولهم علاقات جيدة مع الآخر. إن علاقاتهم سطحية وتعلقهم عابر مدى عبور الأشخاص وهذا لتعدد أوجه الأمومة وعدم ثباتها.

الصنف الثاني منطوي لا يبالي بالأخر وعند الاقتراب منه يبكي أو يخفي وجهه أو ينسحب.

اضطرابات معرفة الذات: ضعف معرفة الجسم: حيث يتعرف الطفل على جسمه من خلال عناية ومعاملة الأم له وتوظيفها لجسمه بملاطفته ولمسه وتقبيله، لكن الطفل في الحضانة لا يحظى بهذه العناية الوجدانية ويعامل كأنه موضوع خلال الحمام أو الأكل، إما الأوقات الأخرى تترك اللامبالاة من المربيات الطفل في فراغ بدون مثيرات يساعد على الإحساس والإدراك بجسمه وبخصائصه.

اضطرابات السلوك:

- اللاانضباطية اضطراب يصيب الصغار والمراهقين والكبار. عدم الانضباط الحركي والنفسي- ضعف الانتباه والتركيز- وتبقى اللانضباطية حتى سن الرشد في العلاقات وفي العمل والتكوين...
- العدوان في نوعين: عدوان ذاتي ضرب رأسه، عض يديه ولطم وجهه أو نتف شعره، ارتماء على الأرض وتشنجات تحت تأثير الغضب والإحباط.
- عدوان نحو الأخر وخاصة مع الأطفال لان الكبار لا يقبلونه فينتقم من الأصغر منه أو من المعوقين.
- التبول دائم ومنتشر وتبقى نسبة منهم تتبول حتى سن المراهقة وفي نسبة قليلة يبقى التبول حتى سن الرشد.

- الأمراض السيكوسوماتية منتشرة عند الرضيع- قيء، إسهال، مشاكل تنفسية، الاكزيما...

الجنوح: حاولت الكثير من الدراسات ربط الجنوح مع الحرمان الامومي مثل bowlby في دراسته لسراقين ولاحظ أنهم عانوا من تفريق في طفولتهم، وحسب بعض الدراسات وقوع الجنوح مرتفع 4-5 مرات عند المحرومين: تشرد، بغاء عند الإناث، سرقة للتعويض...

الرسوب المدرسي: تظهر لديهم تأخر مدرسي ورسوبا هاما عند الأطفال أغلبيتهم يدخلون المدرسة لكن لا يصل مستوى التعليم المتوسط فالكثير يمر بالأقسام الخاصة خاصة في الثانوي نظرا لضعفهم وعدم اهتمامهم بالدراسة. (ميموني، 2003، ص171)

خـــاتمة:

الحرمان العاطفي بمختلف أشكاله يؤدي إلى اضطرابات عديدة في الشخصية والذكاء والقدرات العقلية والسلوك، فالطفل يتأثر بالعوامل المختلفة المحيطة به خاصة في السنوات الأولى التي لها الدور الأساسي في تكوين شخصيته بصورة تترك طابعها فيه طيلة حياته، وهذا ما يجعل من رعاية الطفل في هذه السنوات أمرا يستحق العناية البالغة، إذا عاش الطفل فقدان لهذه الرعاية يشعره بأنه غير مرغوب فيه وغير محبوب وهذا يعني عدم إشباع حاجات هذا الطفل، خاصة النفسية والعاطفية، فيعيش الحرمان خاصة من الأم وعطفها التي لها الدور المهم في تلبية احتياجاته ورعايته، حيث يؤكد Winnicott من خلال دراسته على الرعاية الأمومية حيث تكلم عن مفهوم Holding ويعني الوظيفة الأمومية التي تكون سند لنمو شخصية الطفل نموا سليما انطلاقا من التبعية التي يكون فيها الطفل في الشهر الأول مع الأم حتى إلى الاستقلالية، الأم الجيدة هي التي تكون رعايتها لطفلها شاملة من جميع النواحي خاصة العاطفية، لأن إشباع العواطف لدى الطفل يبني السمات الأساسية لشخصيته وتؤثر فيه بشكل كبير، لأنها تمكنه من التواصل مع الآخرين واكتساب خبرات جديدة بصفة مستمرة من المحيط، ويتم التفاعل بينه وبين غيره من أفراد الأسرة والمجتمع ويتعلم الارتباط العاطفي، وهذا ما يميز شخصية الطفل في مرحلة الطفولة ويكوّنها ويحدد ملامحها، فكلما طالت مدة الحرمان والإحباط وكلما كانت مبكرة منذ السنة الأولى كلما زادت خطورة الاضطرابات في المجال الفكري وعلى تطور الشخصية.

ومع ذلك فالأطفال الذين عاشوا حرمانا مبكرا يمكن إصلاح الآثار المبكرة خاصة إذا كان العلاج مبكرا وإذا وضع الطفل في محيط ثري من ناحية التربية والعناية والعلاقة الدافئة وفيما يلي بعض الاقتراحات للوقاية من الحرمان العاطفي:

- ضرورة رعاية الطفل من قبل أم بديلة قادرة على أن تقدم له كل الرعاية و الاهتمام عند فقدان الأم بسبب الموت أو المرض أو الطلاق.
- منح الأطفال كل الحب والحنان والعطف وعدم تكرار ما عاناه الوالدين من حرمان في طفولتهم مع أبنائهم.

- ضرورة التفاعل والتواصل الأسري بين الأفراد لكونه يدعم أسس الشخصية السليمة ويوفر العطف والمحبة والحنان الذي يحتاجه الأطفال.
- إقامة مؤسسات اجتماعية تقدم الرعاية الكافية للأطفال المحرومين من الحياة الأسرية السوية من خلال بناء مراكز خاصة بأطفال الأيتام والمسعفين.
- توفير الحنان للطفل فهو غذاؤه حتى الدراسات العالمية أشارت إلى أن الزيادة في حنان الأم يقلل من الآثار المرضية الناجمة عند انفصال الطفل بأمه.
-

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

أحمد، كامل سهير (1998). دراسات في سيكولوجية الطفولة، مصر : مركز الإسكندرية للكتاب.

بني يونس، محمود محمد (2005). سيكولوجية الطفولة المبكرة، بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

بولبي، جون، ترجمة محمد سمير غنيم (1956). رعاية الطفل وتطور الحب، مصر: دار المعارف.

حجازي، مصطفى (1981). تأهيل الطفولة الغير متكيفة، مصر: مكتبة الطفل النفسية والتربوية.

حسن، هشام وآخرون(1999). سيكولوجية الطفولة، ط3، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

الزاهي، رشدان عبد الله (2005). التربية والتنشئة الاجتماعية، عمان: دار وائل للنشر.

سعاتي، سامية حسن (1983).الثقافة والشخصية، بيروت : دار النهضة العربية.

شعلان، محمد (1997).الاضطرابات النفسية عند الطفل، ط2، عمان: المكتبة الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية.

عبد الله، أحمد مجدي محمد (1997): الطفولة بين السواء و المرض، مصر: دار المعرفة الجامعية.

عبد الله، أحمد مجدي محمد (2007). الاضطرابات النفسية للأطفال الأعراض، الأسباب والعلاج، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

عبد المطلب، الهندي (2008). الحرمان من الوالدين أو أحدهما وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية(جوانب النمو، الأدوار الجنسية والاضطرابات الانفعالية) في الطفولة المبكرة، رسالة ماجستير غير منشورة: جامعة أم القرى.

عريفج سامي سلطي (2002). سيكولوجية النمو دراسة طفل ما قبل المدرسة ط2، القاهرة: دار الفكر العربي.

قاسم أحمد انسى محمد (2002). أطفال بلا أسر، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.

قنطار، فايز (1992). نمو العلاقة بين الطفل و الأم ، سوريا: عالم المعرفة.

ملحم، سامي0 محمد (2011). الأسس النفسية للنمو في الطفولة المبكرة، ط2، عمان : دار الفكر.

المليجي، حلمي (1985) . علم النفس المعاصر ، ط 7، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

ميموني، بدرة معتصم (2005). الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

هنا، عطية محمود ا(1984).علم النفس الإكلينيكي بيروت: ديوان المطبوعات الجامعية.

المراجع باللغة الأجنبية:

Berger (1987) .The developing parsonthrongh childhood and adolescence, 2 nd, worth pub, I.N.C.P.

Freud, S (2003) psychanalyse textes choisis, France : p.u.f

J , Bowlby (1973). Attachment (vol.1) et loss (vol.2) n.y, basic books.

Bowlby, J (1980). Carence de sains maternel, Cahier de sente publique. n°14.

Hetherington & Parkée, R (1987). Child psychology, contemporary viewpoing, 3ed.m, Grow hill, Inter, ed.

Meyer, J (1992). Maternal anger, toddler attachment and maternal separation anxiety, D.A.I.B: p.u.f.

Orion, J (2002). Infant attachment and separation the foundation for social/emotional, Grouth nanta, J vol 27.

René , Spitz (1984). la naissance à la parole, p.u.f.

Waters , L& K, Deane (1985) . defining and assessing, Individual deference in attachment relationships. Nos: p.u.f